الثورة الفلسطينية والمحيط العربي

كان الاقرار بحتمية نسج العلاقة بين الثورة الفلسطينية ومحيطها العربي، يمثل أحد القواسم المشتركة بين مختلف التيارات الممثلة للفكر السياسي الفلسطيني. الا ان هذه العلاقة لم تعن، بأي شكل من الاشكال، اعادة القضية الفلسطينية الى الوصاية العربية[٢٧]. والعلاقة بين الطرفين مفروضة بفعل الانتماء القومي والوقائع المادية والجغرافية، ونتيجة الاحساس الفلسطيني بعجز الفلسطينيين وحدهم عن تحرير فلسطين. «ان مسألة فلسطينية الانطلاقة، وطليعية الشعب الفلسطيني تظل مبررة حتى تحقق الثورة الفلسطينية وجودها المعترف به، وشرعيتها واتساع قاعدتها الجماهيرية. اما بعد ذلك، اي مرحلة التحرير، فهي لن تكون الا عربية. وحتى في المرحلة الاولى، فالثورة لن تتمكن من الصمود الا في ظل نسج العلاقات مع الجماهير العربية، حيث اثبتت الاحداث ان افتقاد الثورة الفلسطينية لقواعدها الارتكازية في الدول العربية المحيطة بفلسطين، يشكل اكبر تهديد لمسيرة الثورة، بل لوجودها؛ ذلك لأن الواقع الجغرافي الفلسطيني يحتم على الثورة الفلسطينية البحث عن القاعدة الآمنة في دول الطوق، خصوصاً بعد تقوية اسرائيل للحزام الامني على حدودها، وحالة الحصار الشديد المفروضة على الفلسطينيين في الارض المحتلة»[٢٨].

فكيف نظرت الثورة الفلسطينية إلى هذه العلاقة بشقيها، الرسمي والجماهيري ؟

اتسمت بنود الميثاق الوطني الفلسطيني، المتعلقة بالموضوع، بشيء من المبالغة المتسمة بالغموض أحياناً؛ فلم تعط بنود الميثاق اي تحليل جدلي للعلاقة بين الطرفين، أو اوجه الاتفاق والخلاف بينهما، بل وردت مختصرة، وتعاملت مع المحيط العربي باعتباره كلاً واحداً دون تبيان التناقضات المحتملة داخله. فقد نصت المادة الرابعة عشرة على ان «مصير الامة العربية، بل وجودها العربي بذاته، رهن بمصير القضية الفلسطينية؛ ومن هذا الترابط ينطلق سعي الامة العربية وجهدها لتحرير فلسطين». وحددت المادة الخامسة عشرة المسؤولية العربية عن تحرير فلسطين، والدور المناط بالامة العربية، حيث اوضحت ان تحرير فلسطين «تقع مسؤولياته، كاملة، على الامة العربية، شعوباً وحكومات، وفي طليعتها الشعب العربي الفلسطيني. ومن اجل ذلك، فان على الامة العربية ان تعبئ جميع طاقاتها، العسكرية والبشرية والمادية والروحية، للمساهمة مساهمة فعالة مع الشعب الفلسطيني في تحرير فلسطين. وعليها، بصورة خاصة في مرحلة الثورة الفلسطينية المسلحة القائمة الآن، ان تبذل وتقدم إلى الشعب الفلسطيني كل العون وكل التأييد المادي، والبشري، وتوفر له كل الوسائل والفرص لتمكينه من الاستمرار والقيام بدوره الطليعي في متابعة ثورته المسلحة حتى تحرير فلسطين».

ويلاحظ، هنا، التبسيط المتناهي للامور في تحديد العلاقة بين الامة العربية والشعب الفلسطيني. فالميثاق يتكلم عن «امة عربية» ويتناسى ان الواقع المعاش هو واقع اقليمي؛ فأين هي الامة العربية التي ستعبئ جميع قواها ؟ واذا كانت قضية فلسطين قضية قومية ومصيرية للامة العربية، فهل الاقليميات العربية مستعدة لبذل كل الجهود من أجلها ؟

لقد أثبتت الاحداث ان القضية الفلسطينية لم تعامل، فعلاً، كقضية العرب الاولى، والا لما اعترف أنور السادات باسرائيل، ولما وافقت غالبية الدول العربية على الاقرار بالامر الواقع